مجلة دورية محكّمة نصف سنوية تصدر عن مركز مداد للدراسات والبحوث التربوية
العدد الثاني من المجلد الثالث ٢٠٢٣

هجرةُ الكفاءات العلميّة التّونسيّة: أسبابُها و انعكاساتها

د. منية بن عياد
دكتوراه في علم الاجتماع، تونس
benayedmonia01@gmail.com

مؤسسة تعليم بلا حدود/مداد

جدول المحتويات

مقدمة العدد ٦

رئيس التحرير

مستوى رضا أولياء أمور التلاميذ عن مدى كفاءة الخدمات التعليمية في مراكزِ التعليم التعويضي "مراكز سنابل العلم التابعة لمؤسسة مداد في غازي عينتاب نموذجاً" ٧-٥٢

د. عبد المهيمن ديرشوي

مستوى معرفة معلمي الحلقة الأولى بصعوبات التعلم الأكاديمية في مدينة إعزاز ٥٣-٩٨

د. فواز العواد، مالك أحمد عبد الحافظ

ظاهرة الرق في العصر الحديث وأسس التربية الإسلامية في التعامل معها لتغييرها ٩٩-١٢٤

د. محمد سليمان الفارس

هجرة الكفاءات العلمية التونسية: أسبابها و انعكاساتها ١٢٥-١٤٩

د. منية بن عياد

المرونة النفسية وعلاقتها بالاحتراق النفسي لدى معلمي الحلقة الأولى في التعليم الأساسي في مدينة إدلب - مجمع قاح التربوي ١٥٠-١٩٥

د. سمية المالاتي، عمران دخللة

المفاهيم العلمية ودورها في تنمية التفكير الإبداعي للمتعلم ١٩٦-٢٢٣

د. أسماء شابي، محمد مبارك لبحدار، حيدر دربالي، رؤى عمر

قياس مهارة الرياضيات العقلية لدى معلمي مادة الرياضيات في المرحلة الابتدائية في بغداد ٢٢٤-٢٥٩

د. أسماء فوزي حسن التميمي

أثر غياب الأب مدة طويلة عن المنزل في تنشئة الأبناء "دراسة وصفية تحليلية من وجهة نظر الوالدين" ٢٦٠-٣٠٩

د. فيصل البكار

الضغوط الاجتماعية والنفسية والأسرية والاقتصادية وعلاقتها بالتحصيل الأكاديمي لدى عينة من الطلاب ذوي الإعاقة السمعية بطرابلس ٣١٠-٣٧٦

عبد السلام سالم مسعود البوسيفي

مجلة ثبيان للعلوم التربوية والاجتماعية

المجلد الثالث – العدد الثاني – ٢٠٢٣م

مجلة دورية محكمة نصف سنوية

تصدر عن مركز مداد للدراسات والبحوث التربوية

مؤسسة تعليم بلا حدود/مداد

مجلة تبيان للعلوم التربوية والاجتماعية

مجلة علمية دورية محكّمة، تصدر عن مركز مداد للدراسات والبحوث التربوية، وتُعنى بنشر الدراسات في العلوم التربوية والنفسية ودراسات علم الاجتماع، التي تتميّز بالأصالة والمعاصرة والجديّة، كما تُسهم في تطوير الحقل المعرفي موضوع الاختصاص. تصدر المجلة إلكترونياً كل ستة أشهر.

رئيس التحرير

الدكتور فواز العواد

هيئة التحرير

د. سهاد الملّي، د. عبد المهيمن الديرشوي، د سهام عبد العزيز، د. عمر شحادي، د. سمية المالاتي

المشرف الإداري

عثمان عوض

التدقيق اللغوي: صهيب إنطكلي

التنسيق: عبد الله عيد

الرقم التسلسلي المعياري الدولي

ISSN: 2757-9891

موقع المجلة

tibyanjournal.com

مركز مداد للدراسات والبحوث التربوية

مؤسسة بحثية مستقلة، تختص بالدراسات والاستشارات التربوية والنفسية والتنموية، وقضايا التعافي المجتمعي المرتبطة بالتربية والتعليم، وتعمل على رفد الحكومات والمنظمات والجهات الفاعلة بالدراسات والاستشارات والمشاريع التي يمكن الاعتماد عليها لوضع خطط مستقبلية بناءة، وتعد مؤسسة تعليم بلا حدود / مداد هي المؤسسة الأم للمركز.

موقع المركز

midadcenter.com

معايير النشر في المجلة

١. يجب أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث أو الباحثين، والتوصيف الأكاديمي والمنصب الوظيفي، والعنوان، والبريد الإلكتروني، وتاريخ البحث. إضافة إلى اسم الباحث، وتوصيفه الأكاديمي، ومنصبه الوظيفي باللغتين الإنكليزية والتركية.

٢. من أجل ضمان سرية عملية التحكيم، يجب عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث، أو ذكر أية إشارات تكشف عن أشخاصهم، وعند رغبة الباحث أو الباحثين في تقديم الشكر لمن أسهم أو ساعد في إنجاز البحث، فيكون ذلك في صفحة مستقلة.

٣. تقديم ثلاثة ملخصات للبحث؛ باللغات العربية والإنكليزية والتركية، بحد أقصى (١٢٠) كلمة لكل منها، ويكون كل ملخص في صفحة مستقلة، على أن يحتوي الملخص على عنوان البحث، وخمس كلمات مفتاحية، وبدون ذكر أسماء أو بيانات الباحثين.

٤. لا تتجاوز عدد صفحات البحث بأي حال (٣٠ صفحة)، بما في ذلك المراجع، والجداول، والأشكال، باستثناء الملاحق.

٥. أنماط الكتابة وصيغتها تكون كالتالي: مقاس الصفحة (B5)، وبتباعد أسطر بقدر (١,٥)، وبهوامش (٢ سم كحد أدنى) لكل من أعلى وأسفل وجانبي الصفحة، (شاملة الهوامش، والمراجع، والمقتطفات، والجداول، والملاحق).

٦. نمط الكتابة:

- للغة العربية: Traditional Arabic حجم الخط ١٤
- للغة الإنجليزية: Times New Roman حجم الخط ١٤

٧. أن يكون البحث المقدم إلى المجلة مدققاً؛ من الجوانب الإملائية واللغوية والنحوية.

٨. في حال استخدم الباحث أداة من أدوات جمع البيانات، فعليه أن يقدم نسخة كاملة من تلك الأداة، ترفق في طلب النشر.

٩. تعمل المجلة على تأصيل منهج البحث العلمي، وتؤكد بأن البحوث المرسلة يجب أن تتكون من الأجزاء التالية:

مقدمة البحث، مشكلة البحث، أسئلة البحث، أهمية البحث، أهداف البحث، محددات البحث، التعريف بالمصطلحات، الدراسات السابقة، منهجية البحث، الإطار النظري والعملي (إن وجد)، عرض النتائج، مناقشة النتائج، التوصيات والمقترحات.

١٠. توثيق المراجع والمصادر، داخل البحث وفي قائمة المراجع، وفقاً لنظام جمعية علم النفس الأمريكية، سواء أكانت عربية أم أجنبية.

(American psychological Association 7th Edition) (APA7)

هجرةُ الكفاءات العلميّة التّونسيّة: أسبابُها و انعكاساتها

د. منية بن عياد
دكتوراه في علم الاجتماع، تونس
benayedmonia01@gmail.com

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٣/٩/٩م، تاريخ قبول البحث ٢٠٢٣/١٠/١٠م.

ملخص البحث

تعتبر هجرة الكفاءات العلمية من أخطر المشكلات التي تعاني منها الدول العربية لما لها من تداعيات سلبية على مسارها التنموي وحرمانها من الاستفادة من كفاءات عملت على إعدادها وتأهيلها على مدار سنوات، وتهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على ظاهرة هجرة الكفاءات التونسية ورصد العوامل التي تدفع العقول للهجرة والبحث في عوامل الجذب التي تقدمها الدول المستقطبة للمهاجرين، كما قدمنا بعض التوصيات للحد من نزيف هجرة الكفاءات التونسية. واعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي مستخدمين المقابلة نصف الموجهة مع الاستعانة ببعض الإحصائيات حول هجرة العقول العلمية التونسية كدعم لدراستنا والتعمق في بعض المسائل.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الكفاءات، هجرة الكفاءات، رأس المال البشري.

Tunisian scientific talent migration: its causes and repercussions

By: Dr. Monia Ben Ayed

Abstract

The migration of scientific competencies is one of the most serious problems affecting Arab countries because of its negative consequences on their development trajectory and the denial of access to competencies that they have worked to prepare and rehabilitate over the years. the current study aims to identify the phenomenon of Tunisia's brain drain and to monitor the factors driving migration and to investigate the attractions provided by the states that attract migrants, we have also made some recommendations to reduce Tunisia's brain drain. In our study, we relied on the analytical descriptive approach using a semi-oriented comparison with some statistics on the migration of Tunisia's scientific minds in support of this study and to go deeper into some issues.

Key words: migration, competencies, migration of competencies.

Tunus'ta Bilimsel Yetenek Göçü: Nedenleri ve Yansımaları

Dr. Monia ben Ayed

Özet

Bilimsel yeteneklerin göçü, Arap ülkelerinin kalkınma yolculuklarına olumsuz bir şekilde yansıması ve onları yıllar içinde hazırlamaya ve yetiştirmeye çalıştıkları yeteneklerden istifade etmekten mahrum bırakması sebebiyle Arap ülkelerinin yaşadığı en ciddi sorunlardan biri olarak değerlendirilmektedir. Bu çalışma, Tunus'ta yetenek göçü olgusunu tanımlamayı, zihinleri göçe iten faktörleri gözlemlemeyi ve göçmen çeken ülkelerin sunduğu çekim faktörlerini araştırmayı amaçlamaktadır. Ayrıca çalışma, Tunuslu yetenekli insanların göç akışını azaltmak için bazı öneriler de sunmaktadır. Çalışmada, çalışmaya destek olmak ve bazı konuları daha derinlemesine incelemek adına Tunuslu bilimsel zihinlerin göçüne ilişkin bazı istatistiklerin yardımıyla yarı-yapılandırılmış görüşme soruları kullanılarak betimleyici analitik yöntem benimsenmiştir .

Anahtar Kelimeler: Göç, Yetenekler, Yetenek Göçü, İnsan Sermayesi.

مقدمة:

إن قوة اقتصـــاد المجتمعات أصـــبحت تقاس بنوعية كفاءة مواردها البشـــرية، كقاعدة تســـتطيع اســـتخدامها في توجيه مســـاراتها التنموية وفي رفع معدلات التطور في مختلف الميادين. وهو ما ركزت عليه البلدان المتقدمة في تنمية وتطوير هذا الجانب الحيوي واســـتثمار كفاءتها البشـــرية، مســـتخدمة إياه كمحرك أســـاســـي وعامل قوة في ركيزة البناء الاقتصـــادي والمعرفي. ولكي تحقق تفوقها التقني والعلمي عملت كذلك على اســـتقطاب الكفاءات من البلدان الأخرى للاســـتفادة من طاقاتهم مســـتخدمة عدة وســـائل من أجل تحقيق ذلك، باعتبار أن معظم الدول العربية وإن حرصـت على إنتاج مواردها البشـرية إلا أنها لم تنجح في المحافظة عليه والاستفادة منها في عملية التنمية المجتمعية.

لقد أصبحت هجرة الكفاءات العلمية من أهم الظواهر البشرية المتعددة الأبعاد، تتداخل فيها عوامل محلية وإقليمية وعالمية، ومن أخطر المشـــاكل التي يواجهها الوطن العربي والتي تطورت نسـبها بشـكل ملحوظ في العقود الأخيرة وخاصـة في ظل نظام العولمة الذي يســـعى إلى تنشـــيط آليات ســـوق العمل العالمي، ويهدف إلى اقتناص أدمغة البلدان النامية لصالح البلدان المتقدمة. وأضحت ظاهرة هجرة الكفاءات تشكل مظهرًا من مظاهر الخلل الثقافي والاجتماعي والاقتصـادي والتعليمي باعتبار أن "الاندماج الاقتصـادي العالمي لا يشـــمل فقط تزايد حركة الســـلع والخدمات ورؤوس الأموال عبر الحدود الدولية ولكن يشـــمل أيضًـــا حركة الأشـــخاص (الموارد البشـــرية) حيث قدر بحوالي ٢٠٠ مليون إنســـان يعيشـون خارج حدود دولهم الأصـلية ويشـكلون ٣٪ من سـكان العالم. وهذه الأعداد يتوقع لها الزيادة بسرعة كبيرة في العقود القادمة وإن جزءاً من هذه الحركة البشرية تشمل حركة العقول أو ما يسمى بهجرة أو انتقال العقول والأدمغة الكفؤة"(أحمد، ٢٠٢٢، ص. ١٤).

وتبعًا لأهمية الموضـــوع ســـنحاول من خلال هذه الدراســـة البحث في ظاهرة هجرة الكفاءات والكشـــف عن الدوافع الكامنة وراءها، والتي باتت تشـــكل خطرًا على نمو وتطور المجتمعات الطاردة لتلك الكفاءات لصـالح البلدان المسـتقطبة لها، مسـلطين الضـوء على تونس كنموذج من البلدان التي تعاني من هذه الظاهرة ومن أكثر القضـــايا التي تواجهها في

الوقت الحالي. فالبلاد التونسية من بين البلدان العربية التي أصبحت تعاني من هجرة كفاءاتها التي تمثل صفوة النخبة الأكاديمية العلمية التونسية، وتعكس عجزا للدولة على الاحتفاظ بكفاءاتها التي تشكل وقودا لتدوير عجلة التنمية الاقتصادية وإعطائهم المكانة التي تليق بهم. كظاهرة لها انعكاساتها على الخطط التنموية وما ينتج عنها من خسائر اقتصادية وعلمية وجزء مهم من رأسمالها البشري بعد أن أنفقت من أجل إعداده الكثير من المال والجهد.

مشكلة البحث:

تعتبر ظاهرة هجرة أو نزيف الأدمغة أو الكفاءات واحدة من أبرز المشكلات التي تعاني منها الدول العربية والتي تقف حاجزًا أمام تحقيق تنمية متينة الأسس للدول الطاردة. وقد شهدت تونس في السنوات الأخيرة ارتفاعًا ملحوظًا في عدد المهاجرين من الكفاءات وما يحمله من هدر للثروة البشرية في العديد من الاختصاصات المطلوبة. في هذا المستوى تتنزل إشكالية دراستنا في التساؤل الرئيسي: **ما هي الأسباب المؤدية إلى هجرة الكفاءات العلمية في تونس وما هي انعكاساتها؟**

أسئلة البحث:

١. إلى أي مدى تعتبر العوامل الاقتصادية الدافع الرئيسي وراء هجرة الكفاءات التونسية؟

٢. هل أن عدم الاستقرار السياسي في تونس أحد أسباب هجرة الكفاءات العلمية التونسية؟

٣. هل تؤثر هجرة الكفاءات العلمية على المسيرة التنموية للبلاد التونسية؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية الدراسة بكونها تعالج قضية خطيرة وهو موضوع هجرة الكفاءات التونسية الذي عرف اهتمامًا متزايدًا من قبل الباحثين وأصحاب القرار، باعتبار تفاقم نسبة تسرب العقول البشرية التونسية خارج الوطن ونزفا لأكثر الموارد قيمة، وما ينتج عنه من تداعيات سلبية على مسارات التنمية.

أهداف البحث:

شـــغلـت ظـاهرة هجرة الكفـاءات اهتمـام الـدول والبـاحثين، لمـا ينتج عنهـا من انعكاسـات تتراوح بين الإيجابية والسـلبية، بين الدول التي تغادرها والدول التي تسـتقر فيها. وتسعى هذه الدراسة تحقيق جملة من الأهداف تتمثل في:

١. التعريف بمفهوم هجرة الكفاءات.
٢. البحث في واقع هجرة الكفاءات في تونس.
٣. معرفة دوافع وأسباب تفاقم ظاهرة هجرة العقول العلمية في تونس.
٤. الكشف عن تداعيات هجرة الكفاءات التونسية.

محددات البحث:

المحدد الزماني: من فترة شهر يونيو لشهر أغسطس سنة ٢٠٢٣.

المحدد المكاني: ولاية صفاقس (تونس).

الدراسات السابقة:

من الدراسات التي عالجت موضوع هجرة الكفاءات العلمية نجد:

دراســة محمد الخزرجي ســرمد جاســم، محمد ســالم محمد بعنوان" هجرة الكفاءات العلمية بين عوامل الطرد والجذب، دراســة ســوســيو أنثوبولوجية (جامعة تكريت نموذجًا).

ســعت الدراســة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها التعريف بمفهوم الهجرة ونشأتها وأنواعها ومعرفة الأسباب الرئيسية وراء هجرة الكفاءات والآثار المترتبة عنها وكيفية الحد منها. وتم اعتماد المنهج التاريخي والمنهج الوصـفي التحليلي. وانتهت الدراسـة إلى النتائج التاليـة: أن أسـبـاب هجرة الكفـاءات تكون غـالبـا مرتبطـة بزيـادة الـدخـل وتوفير ظروف معيشية جيدة للأسرة أو البحث عن فرص عمل تتناسب مع مؤهلاتهم.

دراســة لبيب لويزة بعنوان" أســباب هجرة الكفاءات الجزائرية و أثرها على التنمية، دراسة ميدانية على عينة من الكفاءات المهاجرة بدول الخليج".

سعت الدراسة إلى البحث في أسباب اختيار الكفاءات الجزائرية الهجرة لمنطقة الخليج العربي والتعرف على عوامل الجذب بها. وتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي. وانتهت الدراسة إلى أن عوامل الطرد في الجزائر في مجملها عوامل اقتصادية من انخفاض الأجور في الجزائر وسوء الأحوال المعيشية.

دراسة أميرة محمد عمارة بعنوان" هجرة العقول و أثرها في النمو الاقتصادي لمصر".

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى تأثيرات الهجرة على النمو الاقتصادي لمصر وتوصلت إلى جملة من النتائج أهمها تأثير هجرة العقول في تغيير رأس المال المادي ورأس المال البشري الذي بدوره يؤثر على النمو الاقتصادي.

دراسة طهراوي دومة علي، يسبع عبد القادر بعنوان" الكفاءات المهاجرة وهجرة العودة مدخل لنقل التكنولوجيا والمعرفة للدول الأصلية".

هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الذي يمكن أن تلعبه الكفاءات المهاجرة عند العودة في نقل المعرفة والتكنولوجيا لبلدانها الأصلية ومعرفة السياسات التي يمكن اتباعها للاستفادة من الكفاءات المهاجرة وتم الاعتماد على المنهج الوصفي وتوصلت الدراسة إلى أن الهجرة العائدة يمكن الاستفادة منها كقوة دافعة للاقتصاد الوطني إذا توافرت لها الوسائل المناسبة في البلد الأصلي وأن قدرات المهاجرين على نقل المعرفة والخبرات تختلف باختلاف نوعية تلك الخبرات ومدى جودة القنوات التي توفرها بلد المنشأ لتسهيل نقل المعرفة والتكنولوجيا.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة وجدت الباحثة الآتي:

- تتشابه دراستنا الحالية مع الدراسات السابقة في تناول أسباب وتبعات ظاهرة الكفاءات العلمية وهو ما حاولنا التعمق فيه أيضًا في دراستنا الحالية بالبحث في عوامل الطرد والجذب لهذه الظاهرة.

- تختلف دراستنا الحالية في زمان الدراسة ومكانها وفي اعتمادنا على أداة المقابلة نصف الموجهة للتعمق في موضوع البحث.

التعريف بمصطلحات الدراسة:

رأس المال البشري:

يمثل جملة المهارات والقدرات وإنتاجية الإنسان في مختلف أنشطته الاقتصادية والاجتماعية. ويعبر مفهوم رأس المال البشري عن "الكفاءة المتميزة التي تتجمع لدى الفرد من خلال تراكم المعارف والتجارب الخاصة التي يمر بها خلال مسيرته العلمية والعملية، حيث تتكون لديه المهارة والجودة في الأداء من خلال الاحتكاك الدائم بميدان العمل والإحاطة بكافة تفاصيله ومعضلاته والتعود على حل المشكلات وإنجاز المهام بطريقة احترافية، فعندما يصل الفرد إلى هذا المستوى من المهارة يوصف بأنه "رأس مال بشري"، أي أنه ذو قيمة مهارية ومعرفية ممتازة، وبذلك تزداد أهميته لدى المنظمات الحديثة ولا يمكن التفريط فيه، لأنه يمثل أحد المركّبات الأساسية لتكوين الميزة التنافسية والجودة والقيمة المضافة" (لخضر، ٢٠٢٢).

الهجرة:

الهجرة مصطلح يشير إلى انتقال الفرد أو الجماعة من مجتمع لآخر وهذا الانتقال غالبًا ما يتضمن التخلي عن محيط اجتماعي معين والدخول في محيط اجتماعي آخر وهذا يعرف بالهجرة الداخلية، أما إذا انتقل الفرد خارج الحدود السياسية لدولته عرفت بالهجرة الخارجية (هشام، ٢٠١٧، ص. ٦).

والهجرة في اللغة تعني ترك المواطن دولته التي ينتمي إليها ليستقر في دولة أخرى بشكل دائم أو مؤقت. فالفعل يعكس حركة او تنقل الأفراد بشكل فردي أو جماعي" (مشيري، ٢٠١٩).

بالتالي يمكن تعريف الهجرة بأنها انتقال الأفراد من موطنهم الأصلي إلى بلد آخر بقصد الإقامة المؤقتة أو الدائمة.

هجرة الكفاءات العلمية:

تعرف الجمعية الفرنسية للمعايير الصناعية الكفاءات البشرية بأنها استخدام القدرات مهنيًّا بهدف تحقيق الإعداد الأمثل للوظيفة (براهيمي وآخرون، ٢٠١٧، ص. ٨٠٧).

كما عرفت بأنها مجموعة من المعارف والسلوكيات وفق هدف معين (Angel ,2016 , p9)

وأشير إلى أصحاب الكفاءات بأنهم ذوو المستوى العلمي العالي من باحثين وأساتذة تعليم عال ومهندسين وأطباء... وهم المصنفون حسب المعايير الدولية نخبًا ولذلك تعتبر مساهمتهم في إنتاج المعرفة مساهمة ذات قيمة مضاف إليه (الشلوفي، ٢٠١٩، ص. ١٣).

ويميز إبراهيم بويحياوي ونوال بن أحمد (٢٠١٦) بين ٣ أبعاد تشكل الكفاءة البشرية:

- المعرفة: وهي مجموعة المعارف القابلة للنقل من شخص لآخر مهيكلة ومدمجة تسمح للمؤسسة قيادة أنشطتها.
- المهارة: وهي القدرة على إنجاز الأعمال والمهام بالاعتماد على المعارف والخبرات المكتسبة والقدرات الشخصية وتختلف حسب الأهداف المحددة في كل مصلحة.
- السلوكيات: تتمثل في مختلف الانطباعات والمواقف والسمات والمواقف والسمات الشخصية المرتبطة بالموظف عند ممارسة نشاط معين التنظيم، روح المبادرة، الدقة وغيرها (بو يحياوي وبن أحمد، ٢٠١٦، ص. ١٢).

وقد أشار جاك غيار إلى أن مصطلح هجرة الكفاءات البشرية يستعمل للتعبير عن هجرة الأشخاص المؤهلين من دولهم الأصلية نحو دول الاستقبال (هجرة الكفاءات الخارجية) وللتعبير أيضًا عن هجرة الأشخاص العلميين والتقنيين نحو قطاعات والهجرة غير علمية داخل نفس الدولة (الهجرة الداخلية للكفاءات) (شيخاوي، ٢٠١١، ص. ٤١).

تعتبر هجرة الكفاءات العلمية أو كما يسميها البعض بهجرة الأدمغة ظاهرة قديمة عالمية، وقد ابتدع البريطانيون هذا المصطلح لوصف ما خسروه من مهندسين وأطباء

وعلماء هاجروا وكان اتجاههم الولايات المتحدة الأمريكية "كنوع من أنواع الهجرات الخارجية في الغالب والتي تعني الانتقال من بلد الى آخر من خلال عبور الحدود السياسية وهي تمثل انتقال العقول المستنيرة والعلماء من بلدانهم الأصلية إلى دول أخرى لتحقيق ما يطمحون إليه اقتصاديًا وعلميًا (فرج، ٢٠١٤، ص. ٦٩).

كما عرفت هجرة الكفاءات العلمية بأنها حركة انتقال المؤهلين علميًا من بلدانهم الأصلية إلى بلد آخر للبحث عن فرص عمل أفضل بصورة دائمة أو مؤقتة. الكفاءات لديها."(نغيمش، ٢٠١٠، ص. ٢١١).

تعرف الباحثة هجرة الكفاءات العلمية إجرائيا بأنها انتقال الأشخاص المؤهلين علميا وذوي الكفاءة العليا من بلدانهم الأصلية إلى بلدان أخرى بقصد الإقامة الدائمة أو المؤقتة.

وقد نشرت الكثير من النظريات حول أسباب هجرة الأدمغة يذكر أحمد بدر الدين الهاشمي (٢٠١١) منها:

- النظرية الفردية: تعتبر أن المهاجر فرد بالغ عاقل يبحث له عن مكان يؤمن له أعلى راتب ممكن وأفضل مستقبل.
- النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة: وهي تقول بأن العمالة تنتقل (طبيعيا) من الدول المتدنية الأجور للدول المرتفعة الأجور.
- اقتصاد الهجرة الجديد: وهو يقرر أن الهجرة ليست قرار يتخذه الفرد باختياره، وإنما هو قرار يتخذه أفراد عديدون، مثل الأقرباء وأفراد العائلة.
- نظرية سوق العمل المزدوج: وهذه النظرية تقول بأن الهجرة ليست مرحلة مؤقتة، بل عملية لها ملامح بنيوية ودائمة وضرورية في المجتمعات الحديثة المتقدمة (الهاشمي،٢٠١١).

الدراسة الميدانية:

منهج وعينة الدراسة:

في دراستنا الحالية اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يمكننا من وصف شمولي للظاهرة وفهم متعمق لها وباعتباره أكثر ملائمة من حيث تحديد مشكلة البحث ودراستها والإحاطة بأبعادها بشكل عميق. وقد تم جمع المعلومات بواسطة المقابلة النصف موجهة لتحليل وفهم مخاطبات المبحوثين. وتم إجراؤها مع ٢٠ مفردة، ١٠ منهم من خريجي الجامعة التونسية مستقرين في تونس و١٠ من الخريجين المهاجرين الذين أجرينا معهم مقابلة باستخدام تقنية السكايب مع الاستعانة ببعض الاحصائيات حول هجرة العقول العلمية التونسية كدعم لدراستنا والتعمق في بعض المسائل.

وقد قمنا باتباع الخطوات التالية:

١. تحديد الأهداف أو المعلومات التي حاولنا جمعها وتحديد طريقة التواصل مع المبحوثين، وتم الاختيار على طريقة الاتصال المباشر مع أصحاب الكفاءات المستقرين في تونس وباستخدام تقنية السكايب مع الكفاءات العلمية المهاجرة.

٢. إعداد محاور المقابلة.

٣. إجراء المقابلات نصف الموجهة مع المبحوثين انطلاقًا من مجموعة عناوين شبيهة بدليل للمقابلة تتميز بالمرونة في طرحنا للأسئلة وفقا لطريقة تجاوب المبحوثين.

٤. تحليل البيانات.

٥. استخلاص النتائج من البيانات والمعطيات المجمعة.

الإطار النظري:

المحور الأول: دو افع هجرة الكفاءات التونسية:

- قراءة في إحصائيات هجرة الكفاءات التونسية:

تتمتع تونس برأس مال بشري يمثل ثروة وطنية متميزة ومتنوعة لقناعتها بأهمية الموارد البشرية في تحقيق تفوق الدول حضارياً. ومع تميز كفاءاتها خاصة بدأ استقطاب

الأدمغة التونسية منذ الستينات في القرن الماضي، لكنها في السنوات الأخيرة عرفت ارتفاعًا كبيرًا في هجرة كفاءاتها إلى البلدان الخليجية والأوروبية وأصبحت تونس تحتل المرتبة الثانية عربيًّا بعد سوريا في تصدير الأدمغة وفق تقديرات تقرير التنمية البشرية للعالم العربي لسنة ٢٠١٦، مع توقع استمرارية هجرة الكفاءات مما جعل تونس تعاني من نقص في الكفاءات قد تضطر إلى استردادها من الخارج.

وقد باتت الهجرة نحو أوروبا والخليج للكفاءات من مهندسين وأطباء وأساتذة جامعيين حلمًا يراود الكثير منهم خاصة مع ثورة ١٤ جانفي ٢٠١١ في ظل الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عرفتها تونس، ووفقا للمعهد الوطني للإحصاء فإن ما يقرب من ٣٩,٠٠٠ مهندسا ومهندسة و٣٣٠ طبيبًا وطبيبة غادروا البلاد بين عامي ٢٠١٥ و٢٠٢٠. كما أن خريجي التعليم العالي يمثلون نسبة تناهز ٣٠ بالمائة من أولئك الذين يعتزمون الهجرة (مزلوط ،٢٠٢٢)

و أفادت الوكالة التونسية للتعاون الفني بأنّ "المهاجرين التونسيين الذين غادروا قصد البحث عن ظروف ملائمة للعمل تناسب مؤهلاتهم المهنيّة ينتمون إلى عديد الاختصاصات التي تتطلبها سوق الشغل الأجنبيّة وقد حددتها في أحدث إحصاءاتها في الفترة الممتدة بين غرة يناير و٣٠ سبتمبر ٢٠٢٢، فتصدر قطاع الصحة القائمة بـ ٨٨٧ إطارًا طبيًّا وشبه طبي أي ما يعادل ٣٣ % من مجموع الانتدابات، والتربية والتعليم في المرتبة الثانية بـ٧١٣ منتدبا ثم قطاع الهندسة بـ ٤١٩ منتدبًا وقطاع الإعلاميّة في المرتبة الرابعة بـ ٢٢١ منتدبا"(الماجري، ٢٠٢٢)

كما بينت وكالة التعاون الفني احتلال كندا المركز الأول من بين البلدان المنتدبة للأدمغة التونسية تليها ألمانيا وفرنسا ودول الخليج وأمريكا.

- عوامل هجرة الأدمغة التونسية:

لقد حدد "وليام غليرز" دوافع هجرة الكفاءات من خلال تسليط الضوء على المهاجر والبلد المضيف بما يقدمه من إغراءات للهجرة، أما الموطن الأصلي فله دور سلبي لعدم قيامه بتأمين الظروف والشروط المادية والمعنوية التي تحتاجها الكفاءات وأعطى

مثالًا عن دوافع الطلاب للهجرة وقرار الدراسة بالخرج ومتابعة الاختصاص وماهية روابط ولاء الطلاب بالموطن الأصلي والدور السلبي له في عدم تأمين ما يمكنهم من الدراسات العليا، حيث قسم عوامل هجرة الكفاءات إلى قسمين عوامل طرد وعوامل جذب "(مفتات، ٢٠١٢، ص.٣٣)

إن تفاقم نزيف هجرة الكفاءات التونسية في العقود الأخيرة يجعلنا نتساءل، عن سبب إخفاق البلاد التونسية في المحافظة وجذب كفاءاتها ذوي المهارات عالية في حين استطاعت دول أخرى؟

وبناء على المعطيات الميدانية، يحيلنا هذا السؤال إلى الدوافع لهجرة العقول والتي تنقسم إلى قسمين:

١. عوامل الطرد:

ترتبط بالدوافع التي جعلت أصحاب الكفاءات تهاجر إلى الخارج. وحسب المعطيات الميدانية للدراسة وجدنا أهمها:

- **اختلاف مستوى الدخل في تونس وبلاد المهجر:** بناء على المعطيات الميدانية تظهر صدارة العوامل الاقتصادية لهجرة الكفاءات وخاصة مستوى الدخل، فمن خلال إجراء مجموعة من المقابلات مع أصحاب الكفاءات المهاجرة أو التي تفكر في الهجرة لاحظنا واستنتجنا من خلال مواقفهم أن مستوى الدخل من الأسباب الرئيسية لهجرة الكفاءات باعتبار ما يضمنه من خدمات اجتماعية مثل النقل والصحة والسكن والتعليم...خاصة إذا كان الدخل لا يتناسب مع مؤهلات الشخص العلمية والعملية ويجعل عاجزاً عن تطوير إمكانياته العلمية، وعدم الحصول على خبرات جديدة التي تحتاج إلى تنقلات وأسفار. مع تدني الظروف المادية والاجتماعية التي تؤمن المستوى المناسب للعيش، وتدهور المقدرة الشرائية وغلاء الأسعار حيث لا يغطي الدخل الشهري أبسط الاحتياجات ولا يشجع على البقاء ويؤدي إلى غلق الآفاق العلمية والمهنية والاجتماعية، فيجد الشخص صعوبة في ممارسة مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والتطور الاجتماعي. عكس ما يوفره الخارج من أجور أفضل تمكنه من العيش الكريم

إضـــافة إلى الحوافز المادية والمعنوية التي تســـند للعقول في الدول المســـتقطبة على غرار فرنســا وألمانيا التي تقدم أجورا مرتفعة. فعندما "تقارن هذه الكفاءات وضـعها بأمثالها في دول أخرى في العالم، فإنها تدرك أهمية الفارق، وتدرك أنه من المستحيل في المدى القريب أو البعيد أو المتوسـط أن يتم تحقيق درجة من التسـاوي الاقتصـادي مع الآخرين "(لويزة، ٢٠٢٠، ص. ٢٠٤). يشـير في هذا الصـدد أحد المبحوثين بقوله" تتميز الرواتب في تونس بالمحدودية والانخفاض خاصـة مع تردي الأوضـاع الاقتصـادية التي تمر بها تونس والتي لا تسـمح على حصـول الكفاءات على أجور تتناسـب مع مسـتواهم العلمي لذلك فإن السـبيل لكســب المال والعيش في ظروف أفضــل يكون في الهجرة إلى دول تقدم فرصًــا ورواتب أفضل".

- **ظروف العمل:** يمثل واحدًا من العوامل الرئيســية لمغادرة الكفاءات إلى الخارج بســبب انعدام قدرة تونس على اســتيعاب العقول، مع عدم إعطاء الأدمغة حق قدرها فيجد أصـحاب الكفاءات أنفســهم إما عاطلين عن العمل أو دون عمل يناســب كفاءتهم ومســتواهم العلمي، مع ظروف عمل غير ملائمة للعمل والإنتاج، وهو ما أكده العديد من المســتجوَبين الذين أجرينا معهم المقابلات، يقول أحدهم في هذا الصــدد "لا مجال للإبداع في تونس، يجب أن نعمل بدون إبداء رأي أو اعتراض مع ظروف عمل ســيئة تشــعرنا بالإحباط". والتي ترجع إلى اختلال العلاقة بين حاجة الســوق والخريجين، حيث تعاني البلاد التونسية من عدة مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية أثرت بشكل سلبي وقللت من فرص عمل الكفاءات التونســية. خاصــة مع عجز القطاع الاقتصــادي عن تحقيق معدلات تنمية جيدة وبالتالي عدم زيادة معدلات الاســتثمار وخلق فرص عمل والنتيجة تحول ســعي الكفاءات في الحصــول على عمل يتماشــى مع امكانياتها العلمية ومؤهلاتها أشــبه بحلم صــعب التحقيق، فتشــعر في ظل العراقيل باليأس والإحباط، مع فشل سياسات التشغيل في توفير لهم وظائف تضمن لهم تحقيق ذواتهم ومكاناتهم ويكون الحل لهم في البحث عن مواطن شغل خارج البلاد خاصة مع ما تقدمه البلدان المستقطبة للمهاجرين من ظروف عمل أفضل. يضيف أحد المبحوثين وهو من الأطباء في هذا الصدد"

نحن نعيش ظروف عمل صعبة وقاسية؛ أحيانًا نجبر على المداومة٤٨ ساعة في المستشفى وهو ما يشعرنا بإرهاق بدني ونفسي شديد". ووفق النقابة التونسية لأطباء تونس يغادر ما يصل ٩٠٪ من أطباء تونس المتخرجين من البلاد التونسية سنويا بسبب الصعوبات التي يشهدها القطاع من تردي ظروف العمل ونقص فالتجهيزات وتفاقم حالات العنف المسلطة عليهم. وهو ما أكده أحد الأطباء المهاجرين الى ألمانيا بقوله" لقد عانيت كثيراً من ظروف التكوين الصعبة، لقد وقع استنزاف طاقتي عند إجراء التربص وبعد التخرج حاولت أن أدخل سوق العمل وجربت حظي في عدة أماكن لكن سرعان ما غادرتها باعتبار عدم مناسبتها لمؤهلاتي العلمية".

- **ارتفاع نسبة بطالة أصحاب الكفاءات:** تعدّ البطالة أحد أهم أسباب هجرة الأدمغة حيث يعاني نحو ٤٧٤٠ مهندساً و١٥٠٠ طبيبًا و٥٠٠٠ أستاذًا من أصحاب شهادات الدكتوراه من البطالة. وحذّرت عمادة المهندسين من تفاقم ظاهرة هجرة المهندسين التونسيين، مؤكدة هجرة ما لا يقل عن ١٠ آلاف مهندس خلال السنوات الأخيرة (بركات،٢٠١٩). والذين كانوا متأملين بعد سنوات الدراسة وبلوغهم أعلى درجات المعرفة أن يجدوا مكانا لهم في مؤسسات بلادهم تناسب كفاءتهم. إلا أنهم يصطدمون بواقع مرير ووضعية نفسية واجتماعية صعبة وتحول أحلامهم الى معاناة حقيقية خاصة، فمثلاً الكثير من المتحصلين على شهادة الدكتوراه قد تجاوزت أعمارهم الأربعين ولم يقع انتدابهم بعد. وقد" شهدت تونس في السنوات الأخيرة احتجاجات عارمة في صفوف خريجي التعليم العالي، ومن بينهم الدكاترة الذين خاضوا مختلف أشكال الاحتجاج، بما فيها الإضراب عن الطعام، بسبب عدم الاستجابة لطلباتهم بالتوظيف في القطاع العام، وضعف التوظيف في القطاع الخاص، واستمرار المحسوبية في التشغيل"(بن بريك، ٢٠٢٢)، وهو ما أدى إلى تصاعد وتيرة هجرة المئات من المتحصلين على الدكتوراه هروباً من واقع التهميش والإقصاء وترقب مميت. يقول أحد الدكاترة المعطلين عن العمل بمرارة " لقد ضقنا ذرعًا من التهميش والإقصاء ، كل الآفاق مغلقة في تونس" ويرجع هذا إلى غياب تخطيط تربوي متوازن بين خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وحاجة السوق

المحلية والنظام التربوي بشكل وظيفي مما يؤدي إلى فائض كبير في خريجي بعض التخصصات لا يستطيع الاقتصاد المحلي استيعابه فيجدون أنفسهم إما عاطلين أو يشتغلون في أعمال لا يتناسب مع اختصاصهم ومؤهلاتهم. بالتالي تكون الهجرة هي الحل الوحيد للهروب من البطالة والإحباط والخروج من الوضع المتردي يقول أحد المستجوَبين "لقد تحطمت أحلامي، لا مكانة، لا عمل يحفظ الكرامة، طرقت كل الأبواب، نحن نعيش الفقر المادي والاجتماعي لا مكان لنا في تونس ولم يعد لنا خيار سوى الهجرة إلى الخارج".

- **عدم تقدير الكفاءات العلمية والافتقار إلى عوامل التشجيع:** إن غالبية الكفاءات لم يجدوا التشجيع من دعم مادي ومعنوي سواء في مجال البحوث أو الاختراعات التي ترفع من روحهم المعنوية وتعطيهم دافعا لإنتاج أفضل وتجاهل السلطات فيهاجرون بحثا عن فرص تثبت تفوقهم وقدراتهم، باحثين عن التأطير والرعاية المفقودة في وطنهم وعروض مغرية تقدمها بلدان المهجر. يقول رئيس الجمعية العربية الإفريقية للبحث العلمي والاختراع في هذا الصدد "إن تونس تحتضن أكثر من ثلاثة آلاف مخترع تونسي في مختلف المجالات، وهم في حاجة إلى دعم مشاريعهم العلمية. لكنّ الدولة في أوقات كثيرة، لا تدعم قدرات الباحثين"(الناصري، ٢٠١٧).

- **أسباب سياسية:** إن الوضع العام في تونس بعد الثورة التونسية، زاد من تهميش الكفاءات مع تلاحق الحكومات الانتقالية التي فشلت في وضع خطط تنموية واقتصادية، فشهدت هجرة الكفاءات التونسية ارتفاعًا ملحوظًا خاصة مع الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار وطبيعة الأنظمة السياسية التي تساهم مساهمة كبيرة في خلق عوامل الطرد وتمثل من العوامل غير الملائمة لتطور الكفاءات العلمية. وهو ما أكده أغلب المستجوبين الذين أجرينا معهم المقابلات بأن عدم الاستقرار السياسي يؤثر على الإنتاج العلمي لحاجتهم إلى جو هادئ يساعدهم على الإبداع والابتكار. ويكون الحل بالنسبة لهم هو في خروجهم من تونس مع فقدانهم الأمل في قدرة السياسيين على إخراج تونس من أزماتها، خاصة مع سوء التصرف الإداري وما يتميز به من محسوبية ووساطة يقول أحد المبحوثين في هذا الصدد" لقد سئمنا من الفساد المتفشي والذي زاد مع

حكومات الانتقال الديموقراطي وحصول أقل منا كفاءة على عمل والتي ترجع إلى المحسوبية في التوظيف وفق معايير بعيدة كل البعد عن الكفاءة العلمية للأشخاص".

- **أسباب نفسية:** إن اصطدام الكفاءات بالواقع الذي يتناقض مع أحلامهم بالحصول على عمل يثبتون به قدراتهم وذاتهم ويحفظ كرامتهم ، جعل أصحاب الكفاءات تشعر بالإحباط والفشل واليأس والعيش في وضع مسدود الأفق. تقول إحدى المستجوَبات وهي من الدكاترة الذين تحصلوا على عقد عمل في كندا" لقد كانت مشكلتي تتجاوز البحث عن عمل يضمن لي لقمة العيش إنما البحث عن فرصة عمل تحفظ كرامتي وتناسب قيمتي العلمية والاجتماعية" وبالتالي تحولت الهجرة للكثيرين الحل الأمثل لتحقيق أحلامهم، في ظل غياب خيارات بديلة تحفظ كرامتهم، حاملين معهم تطلعات واستراتيجيات لتحقيق غايتهم في بلد المهجر وتطوير أنفسهم ذاتيا وماديا. تضيف أحد المستجوَبات" تونس لم توفر لي فرصا للعيش بشكل يلائم كفاءتي كل ما يوجد في تونس يشعرني بالإحباط ويدفعني إلى الهجرة ".

- ضعف المخصصات المالية للبحث العلمي والإنفاق على البحوث والمراكز والمؤسسات العلمية من قبل الدولة ومحدودية ضروريات البحث العلمي من مختبرات وتمويلات وأجهزة علمية عكس البلدان المستقبلة التي تنفق بشكل كبير على المراكز العلمية، إضافة إلى عدم توفر إمكانيات البحث العلمي والأجواء العلمية.

- الإجراءات الإدارية المعقدة التي تكبل الخريجين لبعث مشروع. فكل متخرج يسعى إلى التموقع الجيد في سوق العمل بما يتماشى مع مؤهلاته العلمية لكنه يصطدم بواقع مرير من تهميش وسوء تصرف إداري تطغى عليه المحسوبية وتقليدية القوانين وما يصبغ عليها من طابع النمطية الذي يقتل كل إبداع.

- تأثر العديد من الخريجين بالمؤثرات الخارجية بفعل تقدم وسائل الاتصال والتي تستخدمها الدول المستقطبة لجذب الكفاءات.

٢. العوامل الجاذبة:

ترتبط بالظروف السائدة في الدول المستقطبة للعقول ومنها:

- **ارتفاع الأجور في بلد المهجر:** حيث توفر البلدان المستقطبة للأدمغة ظروف عمل ملائمة ومجزية ماديًّا التي تشكل إغراءات للكفاءات يقول أحد المستجوَبين المهاجرين في هذا الصدد" لقد كنت في تونس أتقاضى سوى ٤٠٠ دينارا أي ما يعادل ١٢٥,٩٤ دولار أمريكي، هذا الأجر الذي لا يوفر لي أبسط متطلباتي اليومية في ظل مرتبي الضعيف وغلاء الأسعار، أما اليوم بعد هجرتي إلى كندا فإنني أتقاضى ما يعادل ٤ أضعاف ما كنت أتقاضاه في تونس يكفيني مصاريفي بل أبعث قسطًا منه إلى عائلتي في تونس"

- **الاستقرار السياسي:** تفيد المعطيات الميدانية التي تحصلنا عليها، أهمية عامل الاستقرار السياسي في البلدان المستقطبة الذي يشجع العقول على الإنتاج العلمي والابتكار والإبداع خصوصا مع اعتماد الدول المتقدمة سياسات الهجرة الانتقائية والتي تسعى من خلالها البحث عن طرق تسمح لهم باختيار ذوي المهارات والقارين على الهجرة، وهذا من خلال وضع مجموعة من التشريعات والقوانين خاصة من أجل التعويض في الكفاءات بسبب التهرم السكاني وانخفاض نسبة الولادات وبالتالي انخفاض أصحاب الكفاءات العلمية لديها وبالتالي تسعى إلى استقطاب الكفاءات الأجنبية، و أصبحت هذه السياسات محل تنافس بين الدول المتقدمة من أجل جذب أكبر نسبة من العقول وفي هذا المجال قامت فرنسا بسن قانون جديد للهجرة يخص ذوي الكفاءات العالية وهو ما عرف بالهجرة الانتقائية التي حددت فترتها بثلاث سنوات قابلة للتجديد، كما أصدر الكونغرس الأمريكي قرار بزيادة الحصول على بطاقة الإقامة للخريجين الأجانب في مجالات التكنولوجيا المتطورة من ٩٠ الفا الى ١٥٠ ألفا ثم ٢١٠ آلاف في السنة وفي بريطانيا قررت السلطات زيادة ٥٠٠ جنيه إسترليني في شكل رسوم الدخول الى المملكة ويستثنى من ذلك المهاجرون من ذوي الكفاءات العالية"(سنوسي، ٢٠١١، ص. ٥٥).

- **ما يحتويه النظام الاجتماعي للدول المتقدمة من مميزات اجتماعية جاذبة للكفاءات العلمية:** من احترام حرية الفرد والانضباط في الحياة والعمل وتوفر أنظمة الضمان الاجتماعي والاحترام والتقدير التي تحظى بها أصحاب الكفاءات. إضافة إلى التشجيع الذي تمنحه الدول المتقدمة للبحث والابتكار وتوفير المناخ الملائم للعمل والبحث،

وفتح أفق جديدة أكثر رحابة، ومن جانب آخر يعد ارتفاع مدخول الأفراد الحاصلين على شهادات علمية من دول أجنبية عند عملهم في الدول العربية مقارنة بمن يحملون الدرجة العلمية ذاتها من جامعات عربية عاملا آخر يدفع الطلبة العرب للدراسة خارج أوطانهم (عيشة أحمد، ٢٠٢٢، ص. ١٧).

- توافر إمكانية البحث والبيئة البحثية والإمكانيات العلمية والتقنية.

المحور الثاني: انعكاسات هجرة الأدمغة:

إن الاستثمار في اعداد وتنمية رأس المال البشري يمثل عاملًا أساسيًّا في تحقيق تنمية المجتمع والارتقاء بعناصر الإنتاج وعامل قوة ومهمة في ركيزة البناء الاقتصادي والمعرفي. وبالرغم من وجود بعض الإيجابيات لهجرة الكفاءات مثل زيادة تحويلات العملات الأجنبية إلى تونس وتعزيز الاستثمارات إلا أن لها عدة تداعيات سلبية منها:

- انخفاض المعرفة والخبرات والقدرة على التنافس في السوق الدولية: من خلال مقابلاتنا التي أجريناها، أجمع المبحوثون على التأثيرات السلبية لهجرة الأدمغة على المسار التنموي للبلاد و التي ترجع إلى عدم وجود سياسة فعالة للاستفادة من مؤهلات الكفاءات التي عملت على تأهيلها وإعدادها لسنوات عدة وتبديد الموارد المالية التي أنفقت على تعليمهم وتدريبهم" حيث تتحمل البلدان العربية بسبب تلك الأنواع من الهجرات خسارة مزدوجة لضياع ما أنفقته من أموال وجهود في تعليم وإعداد الكفاءات العربية ومواجهة نقص الكفاءات العربية المهاجرة ومواجهة نقص الكفاءات وسوء استغلالها والإفادة منها عن طريق استيراد العقول الغربية بتكلفة كبيرة وبذلك تكون حجم الخسائر التي تتحملها الدول الطاردة مضاعفة ومزدوجة "(بركات، ٢٠٠١،ص. ٤٣) وخسارة التنمية التونسية لطاقة إنتاجية وعلمية في مجالات مختلفة من تعليم وصحة واقتصاد.... مع تدمير جزئي وخطير للثروة البشرية تشكل مسيرة الأمم نحو التنمية المستدامة وحرمانها من الاستفادة من الإبداعات الفكرية والعلمية لكفاءاتها، وفي رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وتبديد الموارد المالية التي أنفقت على تعليم الكفاءات وقامت بتدريبها. وقد أبدى كل المستجوبين المهاجرين عن رفضهم العودة في ظل غياب فرص أفضل في تونس

يقول أحدهم " لا شيء يشجع على العودة إلى تونس كل الآفاق مغلقة أمام الكفاءات هناك". في حين تستفاد الدول المستقطبة لهذه الكفاءات من مردود الإنفاق بدل أن تستفاد تونس التي تحملت تكاليف إعداد هذه الكفاءات، فقيمة تحويلات المهاجرين التونسيين بالخارج لا تساوي قيمة العقول المهاجرة والتي اقتصرت أغلبها في تحسين مستوى معيشة أسر العاملين بالخارج وليس في تحقيق نقلة نوعية على المستوى الاقتصادي للبلاد ككل.

- استنزاف فئة فاعلة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي بدل استثمارها في النهوض بالأعباء التنموية، ومع تواصل نزيف الهجرة سيجعل تونس بلا كفاءات وينتج عنه انعكاسات سلبية على المجتمع والدولة لتفريطها في خبرات العقول المهاجرة التي تحتاجها التنمية التونسية في مختلف المجالات والتي كان من المفترض أن تقوم بها.

- زيادة الفجوة التكنولوجية بين تونس والدول الرائدة في هذا المجال التي اعتمدت على الاستثمار في الرأس المال البشري كجزء من عملية استنزاف للأدمغة والثورة البشرية من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة.

نتائج البحث:

حاولنا من خلال هذه الدراسة تشخيص ظاهرة هجرة الكفاءات التي تعتبر من أهم المشكلات التنموية التي تواجهها البلدان النامية ومنها تونس والبحث في أسبابها وانعكاساتها. ومن خلال ما جمعنا من معطيات ميدانية وتحليلها، تمكنا من الإجابة عن السؤال الأول بتصدر العوامل الاقتصادية دوافع هجرة الكفاءات التونسية والمتمثلة في غلاء الأسعار وانخفاض الأجور في تونس، مقابل ما يتقاضاه في بلد المهجر والذي لا يتناسب مع مؤهلات الفرد العلمية والعملية ويجعله عاجزًا عن تطوير إمكانياته العلمية وتوفير احتياجاته المعيشية. كما تمت الإجابة عن السؤال الثاني وانتهينا إلى أن عدم الاستقرار السياسي في تونس هو من الدوافع الرئيسية لهجرة الكفاءات، حيث ساهمت الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار بعد الثورة التونسية مساهمة كبيرة في خلق عوامل الطرد. كما توصلت الدراسة إلى تأكيد أنه لهجرة الأدمغة التونسية آثار سلبية على المسار التنموي

للبلاد، في ضوء حرمان تونس من الاستفادة من خبرات ومؤهلات كفاءاتها في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

في ضوء هذه النتائج، ننتهي بأن هجرة الكفاءات ظاهرة تتداخل فيها عدة عوامل اقتصادية وتوظيفية واجتماعية ونفسية وسياسية.. وتمثل محصلة سلبية وفشلًا في اعتماد استراتيجيات فعالة للمحافظة على الكفاءات التونسية، مما يستوجب المزيد من المعالجات الموضوعية والجادة التي تدعو إلى خلق بدائل عملية للحد من هذا النزيف وتثبت الكفاءات في بلدهم لتحقيق التقدم والرقي.

توصيات البحث:

في ضوء النتائج التي توصل البحث يمكن تقديم بعض التوصيات:

- التركيز في المشاريع التنموية على الاستثمار في الرأسمال البشري واحتياجاته واعتباره الهيكل الأساسي لعملية التنمية تطوير استراتيجيات للحفاظ على الكفاءات.
- المحافظة على الكفاءات ووضع سياسة فعالة ترفع من مستوى مساهمة العقول في دفع عملية التنمية.
- تطوير سوق العمل مع تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للعمالة.
- إيجاد صيغ جديدة للتعامل الإنساني والحضاري مع هذه الكفاءات ووضع استراتيجية لإزالة العقبات التي تعترضها.
- إشراك الكفاءات المهاجرة إلى الخارج في النشاطات العلمية التي تتم داخل تونس بدل استيراد الأجانب التي تكلف الدولة الكثير من الأموال.

كما نقترح القيام بدراسات مكملة لبحثنا تتطرق إلى:

- كيفية الاستفادة من الكفاءات المهاجرة في تحقيق التنمية الوطنية.
- المزيد من التصورات للحد من نزيف هجرة الكفاءات العلمية.

قائمة المصادروالمراجع:

المراجع العربية:

١. أحمد، عيشة محمد (٢٠٢٢). هجرة الكفاءات وأثرها على التنمية الاقتصادية والتعليم في المجتمعات العربية، *المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية*، مجلد (١). العدد (٣)، ص ص١١_١٩.

٢. الشلوقي، ليليا عثمان (٢٠١٩). *الهجرة والمسارات الشخصية للكفاءات التونسية*، تونس: تونس القناة.

٣. الناصري، مريم (٢٠١٧/٤). *كفاءات تونس تهجر البلاد بحثًا عن تقدير تستحقه*، مأخوذ من الموقع www.alaraby.co.uk

٤. بوبحياوي، إبراهيم، بن أحمد، نوال (٢٠١٦). أهمية ودور الكفاءات البشرية داخل المنظمات، *مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية*، العدد (٦) ص ص ٩_٢٦.

٥. بركات، بسمة (٢٠١٩)، *هجرة الأدمغة في تونس: ورقة حول رؤية عمادة المهندسين* مأخوذ من الموقع https://www.alaraby.co.uk

٦. بن بريك، خميس (٢٠٢٢)، *٩٧% منهم مستعدون للهجرة...نزيف الكفاءات يفقد تونس ثروتها الحقيقية*، مأخوذ من الموقع https://www.aljazeera.net/politic

٧. إبراهيمي، آسيا، ثابت أول، وسيلة، عيسى، رضوان (٢٠١٧). استراتيجيات استقطاب الكفاءات في المؤسسة الاقتصادية: دراسة ميدانية لعدد من المؤسسات الجزائرية، *مجلة الواحات للبحوث والدراسات*، المجلد (١٠)، العدد (١)، ص ص٨٠٣_٨٢٢

٨. الهاشمي، بدر الدين حامد (٢٠١١). *إلى حيث العشب أكثر اخضرارا: خواطر حول "هجرة الأدمغة"*، مأخوذ من الموقع https://sudanile.com

٩. نغيمش، راضي عبيد (٢٠١٠). ظاهرة هجرة الكفاءات من البصرة، مجلة الاقتصادي الخليجي، جامعة البصرة، *مركز دراسات الخليج العربي*، عدد ١٨، ص ص ٢٠٨ _ ٢٣٥.

١٠. الماجري، فاتن (٢٠٢٢)، *الآلاف غادروا تونس ...الكفاءات وهاجس الرحيل*، مأخوذ من الموقع https://dhadpost.net

١١. فرج، محمد حسن محمود (٢٠١٤). استخدام التحليل العاملي في تحديد أهم العوامل التي تؤثر على هجرة الكفاءات العلمية السودانية. *مجلة أماريك*، المجلد (٥)، العدد (١٢)، ص ص ٦٥_٨٤.

١٢. سنوسي، شيخاوي (٢٠١١). *هجرة الكفاءات الوطنية وإشكالية التنمية في المغرب العربي، دراسة حالة الجزائر*. رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسة والعلاقات الدولية. جامعة تلمسان.

١٣. شيخاوي، سناء (٢٠١١). *هجرة الكفاءات الوطنية وإشكالية التنمية في المغرب العربي، دراسة حالة الجزائر ١٩٩٩-٢٠١٠* . مذكرة تخرج مقدم لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-كلية الحقوق والعلوم السياسية.

١٤. لبيب، لويزة (٢٠٢٠).. أسباب هجرة الكفاءات الجزائرية وأثرها على التنمية: دراسة ميدانية على عينة من الكفاءات المهاجرة بدول الخليج، *مجلة آفاق العلوم*، جامعة زيان عاشور جلفة، مجلد (٥)، عدد (٤)، ص ص ١٩٩-٢٠٨.

١٥. لخضر. حرز الله محمد. (٢٠٢٢). *رأس مالنا البشري. هذا هو كنزنا الثمين فلا تفلسوه*، مأخوذ من الموقع https://www.aljazeera.net/

١٦. مفتات، صابرينة (٢٠١٢). *محددات انبعاث ظاهرة الهجرة الدولية، دراسة قياسية حالة الجزائر*، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الشلف.

١٧. مشيري، كريمة الطاهر. (٢٠١٩). *إضاءات حول الهجرة غير النظامية*، مأخوذ من الموقع https://daamdth.org/wp-content

١٨. مزلوط، هيفاء (٢٠٢٢). *الهجرة التونسية في أرقام*، مأخوذ من الموقع https://inkyfada.com

١٩. هشـــام، أحمد محمد (٢٠١٧). *الإعلام والهجرة غير المشـــروعة، ورقة علمية مقدمة للمؤتمر العلمي الرابع "القانون والإعلام" كلية الحقوق*، جامعة طنطا.

المراجع الأجنبية:

1. Angel, M. (2016). *Le Tourisme Médical Au Maroc: Enjeux Et Nouvelles Compétences des Professionnels De Santé.* These De DoctoratL'universite Versailles Saint-Quentin En Yvelines: Laboratoire De Recherche En Management Larequoi. Paris.